مجلة دراسات في اللّغة العربية وآدابها، نصف سنويّة محكّمة،
العدد الواحد والعشرون، ربيع وصيف ١٣٩٤هـ.ش/٢٠١٥م
صص ٨٧- ١١٢

قراءة في أنساق الصراع الوجودي في نصوص من شعر المثقب العبدي

د.غيثاء قادرة*

الملخّص

تأتي هذه الدراسة لتؤكد حاجة الشعر القديم المتسم بقبول تعدد القراءات والتأويلات إلى قراءة جديدة تُظهِر النص بوصفه منظومة لغوية خاضعة لمستوى من التحليل وإعادة التركيب وقائمة في دلالاتها على أنساق متعددة ظاهرة أو متوارية في ثنايا النص الشعري؛ تُعايَن من تمايز الصورة والمعنى في بنية النص وهي تكسب النص طبيعته الجدلية، كما تبرز ثقافة الشاعر الجاهلي –المثقب العبدي– الحاضرة في أعماق الخطاب ومخزوناته الخفية.

يقوم البحث على قراءة أنساق الصراع الوجودي في شعر المثقّب العبدي، في ضوء دراسة نصّية تتخذ من الأنساق الظاهرة والمضمرة وسيلة تعبير عن ذات الشاعر المتصارعة وجودياً وأحكام الزمن.

ويذهب البحث، بعد معالجة النصوص المثبتة فيه، إلى أن دارس الشعر القديم لا يستطيع أن يبحث في أي موضوع من موضوعاته الفنية بعيداً عن أنساق الوجود و العدم فيه.

الكلمات المفتاحية: أنساق، الصراع، الوجودي.

مقدمة:

برزت الأنساق في شعر المثقب العبدي من البنى اللغوية المتباينة المعنى، المتقابلة، الظاهرة في رؤاها، المضمرة في معناها، التي تُظهِر في تباينها حالا من الجدلية والصراع الوجودي بين طرفين لا أهمية لأحدهما بمعزل عن الآخر؛ نشآ من جدلية الأنا البارزة، والآخر المضمر، في بيئة فرضت معطياتها نمطين من الحياة هما: الشعور بالوجود، والشعور بالعدم، وما يندرج تحتهما من ثنائيات نسقية متوائمة في المعنى، ومتعارضة؛ كنسقي الحضور والغياب، ونسقي البقاء والرحيل وغيرهما من الأنساق التي تؤكد أن تعارضها مكوِّن مهمّ من مكوِّنات النص الشعري، وهو أكثر قدرة بين الأساليب على إقامة علاقة جدلية بين النص من جهة والقارئ من جهة أخرى، ما يكسب بنية التضاد في نصّ المثقب العبدي

* أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية، جامعة تشرين، اللاذقية، سورية.

تاريخ الوصول: ١٣٩٣/٠٧/٢٧هـ.ش= ٢٠١٤/١٠/١٩م تاريخ القبول: ١٣٩٤/٠١/٢٩ هـ.ش= ٢٠١٥/٠٤/١٨م

الشعري، القائمة على الجدل والصراع بين طرفي الحياة والموات من جهة، وعلى الانسجام والتقابل بينهما من جهة أخرى، غنى دلالياً، وبعداً رمزياً. ففي تعارض الأنساق تشكيل أفق جديد للنصّ الشعري، تلتقي فيه صور شعرية زمانية ومكانية، تتعارض في أبعادها الدلالية، وقد تنسجم؛ لتشكل عالماً من جدل الواقع والذات وصراعهما.

تنبع **أهمية البحث** من أنّه لا ينظر إلى النصّ الشعري بوصفه ظاهرةً لغوية فحسب، أو ظاهرة فنية وجمالية، وإنما يُعنى، أيضاً، باستكشاف مضمر هذه الظواهر، وأبعادها الكامنة في تعارض هذه الأنساق.

ولا يعدم البحث – بغية إظهار أبعاد الأنساق المتعارضة في النصّ– أن يقرأ البنى الداخلية لها، ورموزها، للوصول إلى تجلية النصّ بدلالاته وجمالياته وصوره وأساليبه الفنيةوالتقنية والبنائية كلها.

تهدف هذه الدراسة إلى قراءة نص المثقب العبدي الشعري، قراءة جديدة تقف على أبعاد التضاد النسقي البارز منها والمضمر، بوصف النص بنية لغوية جمالية يجتمع فيها الواقعي مع المتخيل، وتندغم فيها الذات الانسانية المحملة بواقعها الاجتماعي وتجربتها الثقافية بالموضوع الوجودي؛ لذا فالبحث معنيٌّ بالمضمرات النسقية، وهو محاولة جادة لقراءة جانب الصراع الوجودي المنتظم في نسق هذا الصراع الذي يظهر في سعي الشاعر إلى الدخول في التجربة الوجودية الفردية الداخلية القائمة على معايشة الواقع بعيداً عن مظاهر العدم.

ومن أهم الدراسات التي تناولت شعر المثقب العبدي بالدراسة، ولاسيما قصيدته النونية، دراسة الدكتور وهب رومية في كتابيه: **الرحلة في القصيدة الجاهلية**، و**شعرنا القديم والنقد الجديد**، وفيهما تناول صورة الناقة، ودلالات الرحلة. ودراسة الدكتور عدنان محمد أحمد بعنوان: **قراءة في قصيدة المثقب العبدي النونية**، المنشورة بالعدد ذي الرقم (١٣) من مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية لعام ١٩٩٨، حيث تناول فيها أبعاد صورة المرأة والناقة ورمزيتهما.

وتناول الدكتور يوسف عليمات في كتابه: **جماليات التحليل الثقافي**، مفهوم النسق الشعري القديم؛ مركزية النسق الضدي في الموضوع الشعري في ضوء موضوع الصراع.

تعتمد هذه الدراسة **منهج التحليل الثقافي** لقراءة شعرية الأنساق المتعارضة في شعر المثقب العبدي، وتأويل تشكيلات هذه الشعرية في البنية العميقة لشعره. وذلك وفق دراسة نصيّة تجعل من نصوص الشعر منطلقاً لرصد أنساق الصراع الوجودي. معتمدين في ذلك أيضاً على المنهج النفسي والاجتماعي والجمالي.

أما المباحث االمدروسة، فقائمة في مجملها على فكرة الصراع الوجودي الكائن بين الذات/ الموضوع، أو بين الأنا/ الآخر، ويتجلى ذلك في الأنساق الآتية: نسق الغياب/ الحضور، نسق الرحيل/ البقاء، نسق اليباب/ الخصوبة، وينتهي البحث بنسقي الاستلاب/ التخطي والصراع القائم بينهما.

تمهيد:

تكمن شعرية النّص في الأنساق:المضمرمنها والبارز، والعلاقة الجدلية بينما يظهره النّصّ، وما يضمره، إذ إنّ لكلّ صورة شعريةبعداً ودلالةً، قد تكون واضحة بارزة حيناً، وعميقة خفيةحيناً آخر، تستقرأ من بين الكلمات وأبعاد الصور.وسبق أن "بنى النقد الأدبي مشروعه في العمل على علاقة النص مع إنتاج الدلالة في تمييزه نوعين من الدلالة، هما: الدّلالة الصريحة، والدّلالة الضمنية، إذ تزداد أدبية النص كلمّا ازدادت قدرته على إنتاج الدلالة الضمنية، وليس هناك توازن عددي أو إنشائي بين الدلالتين، إذ نجد دلالة ضمنية واحدة تنتظم نصاً كاملا."[١]، أو قد نجد نصاً يستبطن نسقاً واحداً في فكرة تعتليه، وتضع عنواناً رئيساً له.

تتوزع فكر النّصّ الشعري ومدلولاته بين مظهرين أساسين، يشكلان نسقين متضادين، هما: نسق الإيجاب المتمثل بالحضور والقوة، ونسق السلب المتمثل بالهامشية والضعف، الأول: يعلي من قيمة المثقب العبدييوصفه إنساناً، ويؤكد تفرده، وحريته. وثانيهما: يقوده إلى البحث عن ذاته الضائعة في ظلّشعوره بالضعف والعدمية.

أمّا النسق فهومفهوم كامن بارز في بنية النص الشعري، يظهر رؤية الشاعر الجاهلي وثقافته الموروثة من اللاشعور الجمعي، الرافض لها أو المؤمن بها، والباحث عن مضاد لها، يستعيض به عنها، إبعاداً لثقافة الاستلاب وتمسكاً بثقافة النجاة والحياة."ويتحدد النسق عبر وظيفته، والوظيفة النسقية لا تحدث إلا حينما يتعارض نسقان أو نظامان من أنظمة الخطاب، أحدهما ظاهر والآخر مضمر، ويكون المضمر ناقصاً وناسخاً للظاهر، ونقيضاً ومضاداً للعلني، ويكون ذلك في نص واحد أو في ما هو في حكم النص الواحد"[٢].

وغالباً ما يترافق النسق مع نظيره المضاد الذي يستتر كامناً في خفايا اللغة، متوارياً خلف النسق البارز، الذي يعكس توجهاً مضاداً سعياً إلى جب النسق البارز.

---

[١] عبد الله الغذامي، النقد الثقافي "**قراءة في الأنساق الثقافية العربية**"، ٧١.

[٢] المرجع نفسه، ٧٧.

الأنساق جمع نسق، وجاء النسقبمعنى:""نَسَّقَ" الشيءَ: نَظَّمَهُ، ونسّقه تَنْسيقاً، و"التَّنْسيقُ": التَّنْظيمُ، وجعلَ الأمرَ "مُتَنَاسِقاً" و"نَسْقاً" و"نَسَقاً"، و"انْتَسَقَ": انتظمَ وكان على نَسَقٍ واحد، و"تَنَاسَقَت" الا شياءُ و"انْتَسَقَت" و"تَنَسَّقَت" بعضُهَا إلى بعضٍ: تتابعت، و"نَاسَقَ" بينَ الشيئين: تابعَ بينهما ولاءَمَ، و "النَّسَقُ" من كلِّ شيءٍ: ما كان على طريقةٍ ونظامٍ واحدٍ عام. احتواه السياق في داخله"[١].

الأنساق المتعارضة في شعر المثقب العبدي:

يختصر الكون ثنائية (ذات / موضوع)، يلتقي طرفاهاحيناً، ويتعارضان أحياناً كثيرة، وقد يتفرع منهما ثنائية: باطن/ ظاهر، خير/ شر، ظلام/نور، وجود/عدم. وبين كلّ ثنائية حاجز يفصل طرفيها المتصارعين، في سبيل إثبات كلّ طرف ذاته وتحقيق وجوده.

ومن أهمّ الأنساق المتعارضة التي برزت في شعر المثقب العبدي والتي عُدَّ التعارض والتكامل من أهم خصائصها:

١- نسق الغياب /نسق الحضور:

يتعالق نسقا الحضور والغياب ويتنافران داخل عالم من التناقضات والمتغيرات، أحد مكوناته:المكان الذي اختزل الزمان ومنحه شكل المهيمن على وجود الإنسان.

يقوم نص المثقب العبدي الآتي على نسقين متعارضين يصوران فلسفة الشاعر الذاتية تجاه ثنائية: الحياة والموت. هما نسق الحضور ونسق الغياب، مؤكداً حضور نسق الغياب، مقابل غياب نسق الحضور باكياً فاقداً حضور الذات المجسدة في فاطمة، المرأة التي يؤكد استلاب وجوده في انتفاء وجودها؛فيعاتبها ببالغ السخط والألم، ويتهددها، متوعداً، راغباً في عودة العلاقة واستقامتها بينهما، قائلا:[٢]

أفاطمُ قبلَ بينكِ متّعيني ومنعُكِ ما سألتُكِ أنْ تبيني
فلا تعدي مواعدَ كاذباتٍ تمرّ بها رياحُ الصيفِ دُوني
فإنّي لو تخالفني شمالي خلافَكِ ما وصلتُ بها يَميني
إذاً لقطعتها ولقلتُ: بِيني كذلكَ أجتَوي من يَجتَويني

[١] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة: نسق.

[٢] **ديوان شعره**، ١٣٦-١٤١، رياح الصيف لا خير فيها إنما تأتي بالغبار والعجاج، الا جتواء: الكراهة والاستثقال.

يوجه الشاعر خطابه لفاطمة، المرأة- الوجود في حياته، طالباً منها دوام الحضور؛ لا متاعه، وإيناسه، والعمل على إحساسه بالذات بوصفها مكملة له، فتستبدل البقاء بالرحيل والحضور بالغياب.ويرجوها الصدق في الوعد، فهولا يحتمل الازدواجية في المواقف، ولا المراوغة، فإن كان الفراق كانت قساوة الحياة مترافقة مع ألم شديد /إذاً لقطعتها، ولقلت: بيني.../.يتناسب وأهمية المفارِق.

تظهر الآيات معايشة المثقب العبدي مفهومي المكان والزمان في نسق الغياب الذي تقوده معاني الفناء والاندثار ومقاومتها في آنٍ، وما ينضوي تحتها من ثنائيات أساسية تخلقها تعارضات، مثل: الحياة/الموت، السكون/الحركة، وغيرها من الثنائيات التي يختزن طرفاها صراع الإنسان في مواجهة الزمان.

وتوحي القراءة المتمعنة لهذا النّصّ بحقيقة أبعاد الصراع من خلال تضاد الأنساق، البارز منها، كانفطام الأنثى (فاطمة) عن حضوره، والمضمرة كحضور الخصب الساعي إليه، والمتجسد في فطم الفطم، وقطع القطيعة، وإحلال الوصال الذييصوّر فلسفة الشاعر ورؤيته الوجود.

يحاول الشاعر في ظلّ صراع وجودي إثبات الذات في الحرص على الثبات المتمثل في المتعة:/متعيني/ ففي المتعة إحساسبالوجود يخشى انعدامه.

في قوله:/ أفاطمُ قبلَ بينِكِ متّعيني/خطاب لغوي يختزن ثنائية الأنا الحاضرة الداعية لفعل المتعة قبل البين، و الآخرالغائب المنفطم من حياته، والمنقطع عن الزمن الحاضر؛ إذ تشير الأبيات إلى إهمال فاطمة الشاعر، وعزمها على الفراق، غير مكترثة فيما ستخلفه بعدها من آلام وأحزان قد يعيشها جراء غيابها.

تحضر فاطمة وتغيب، في حضورها الغياب وفي غيابها الحضور، إنّه التضاد الذي يولّد صراعاً وتوتراً بين نسقين أبرزا الصراع بين الذات والآخر، (البين/قبل البين، شمالي/يميني)، وبمثّل تأرجح الشاعر وحيرته بين الغموض والوضوح، وبين الظهور والاستتار، وبين القلق والضياع من جانب وتبيان حقيقة الأمور من جانب آخر.و/فاطم/، تلك، التي جردها من تاء التأنيث، سواء أكانت ذكراً أم أنثى تبدو شديدة الأهمية، لا نحضورها يعني للشاعر إمكانية الإحساس بالوجود، وهذا ما يعزز فكرة أن فاطمة أبعد من امرأة، فاطمة، في النص، هي الذات الشاعر التي يرغب باكتمالها حرصاً على اتصالها بالآخر، وسعيها إلى بناء عالمها الوجودي القائم في منظوره – الشاعر- على المتعة. "ولعل لغة النداء في مفتتح النص تجسّد على نحو واضح حقيقة الصوت الإنساني الباحث عن ثبات العلاقة الإنسانيّة،

أوثباتاآخر الذي يسهم في حفظ النوع البشري وانسجام العالم الإنساني "[١]. ويؤكد ذلك نداؤه القريب /أفاطم/ الذي يضمر دلالة الحضور الغائب ويظهر دلالة الغياب الحاضر، ففاطمة قريبة من قلبه وإحساسه، حاضرة في خياله، غائبة عن مسرح وجوده. والمتعة التي يبتغيها المثقب ويحلم بالوصول إليها وبلوغ المراد منها، إنما هي محاولة تحدي الدهر الذي يحاول إثبات وجوده فيه، " ويسعى إلى الانتصار على غموضه، والتخلص من الغموض هو المتعة التي يبتغيها المثقب ويرهن عمره لها، ولا يرى لحياته نفعاً إذا لم تتحقق "[٢]. لذا تغدو اهمية فاطمة كبيرة.

ففي سعيه الرامي إلى طلب المتعة، /متعيني/، يجهد الشاعر للوصول إلى نسق الحضور والإحساس بالوجود؛لأن في المتعة حضوراً نفسياً، ووجوداً ذاتياً، يدحض الإحساس الغياب؛ لذا يسارع الشاعر إلى مقابلة القطيعة بالقطيعة؛ من خلال تمرده على الغياب المحتَّم وصولا إلى الاتصال الروحي بين الأنا/الشاعر- والآخر/فاطمة. إنه يرفض استلاب الذات من قبل البين/الوعود الكاذبة، ويسعى إلى التحدي، وذلك واضح في ثنائية: بينك/متعيني، (البعد-الجفاء-الفناء مقابل المتعة -الحضور -الحياة) التي تستحضر نسق المتعة والحياة بعيداً عن البين- الفراق والموات.فجاء نداؤه صوتاً إنسانياً يريد به ديمومة الحياة واستمرارها، محذراً من الفراق والتوتر الذي يصنع التحولات، ويسهم في تصدّع العلاقات الإنسانيّة. كما يرفض الشاعر الفراق والوعود الكاذبة والاستسلام وكل ما يهدد استقراره النفسي.

تختصر هذه العبارات (أفاطم، لا تعدي، تخالفني شمالي). تناقضات الحياة وصراعاتها، وتعارض الحقيقة مع الأحلام والرغبات (هجر، وتمنع، وقطع)، (وصال- متعة)، لتصبح المعادلة على هذا النحو: زمن الحلم بالوصال، زمن الحقيقة المرة -الغياب.

يتوالد من نسق الغياب الرئيسأنساق فرعية تؤكد مستوى القهر الذي بلغ ذراه جراء تعرض الشاعر للقطيعة، التي تضاف إلى قطيعة فاطمة - الوجود الذي صارع فيه الغياب، ويأتي في مقدمتها صورة الذراع المهددة بالقطع إذا ما خالفت قرينتها، مؤكّداً أن لو حصل هذا الانقطاع بين شيئين متصلين دائماً كالذراعين-مثلا -لسعى إلى تفعيل القطع، وفصلهما بعضهما عن بعض فصلا أبدياً؛إذ تشكل ثنائية / تخالفني شمالي — ماوصلت بها يميني/ تضاداً من نوع آخر، فاليمين أساس من الجسد، وكذلك الشمال، وفاطمة بمنزلة القطعة من الجسد.إنّهما رمز الحضور الذي قد يغيب إذا ما غابت فاطمة.

---

[١]، د.يوسف عليمات، **جماليات التحليل الثقافي**، ٨٤.

[٢]د.عدنان محمد أحمد، "**قراءة في قصيدة المثقب العبدي النونية**"، ١٤.

يرغب الشاعر في تغييب نسق الاستلاب الوجودي القائم في قطيعة فاطمة، التي تحمل في جذرها اللغوي معنى البعد والفطم، بعد أن أودى به الشعور بالعجز، بفعل الغياب، إلى قوله: /لوتخالفني شمالي ما وصلت بها يميني/، /إذاً لقطعتها/، / كذلك أحتوي من يجتويني /.فبادل القطيعة بالقطيعة والسّوء بالسّوء.

يتقدم نسق الغياب (شعور الشاعر بالعجز) على نسق الحضور (محاولة إثبات القدرة)، واحتمال الخلا فبالوعد هو الفجوة ما بين النسقين، التي تؤكد رغبةالشاعرفي الوصال والحضورعلى التقدم فالبروز، في صورة تنمّ على العمق الذي بلغه قهر الغياب في نفسه.

لقد ولد صراع نسقي الحضور الغائب، والغياب الحاضر تناغماً وانسجاماً بين الثنائيات الضديّة، (تخالفني شمالي /– ماوصلت بها يميني).(لقطعتها/ ولقلت بيني) (أحتوي / من يجتويني). إذا أمعنا النظر في هذه التقابلات النصّية وفي لغتها ضمن إطار الأنساق المتصارعة وجودياً نرى أنّ فاطمة هي قناع لما وراء الظاهر، أو هي نسق يجسد مفهوم الزمن الذي يأخذ من الموجودات ما هو الأهم، الزمن الذي أخذ الشباب والفتوة والجمال و الحبّ والمتعة، وبعث بالهجر والقطيعة. وهذا النسق، في حقيقته، يمثل رؤية الطرف القوي ممثلا بالدّهر الذي يسلب وجود الشاعر، والهزيمة التي تعتريه جراء القطيعة التي يعيشها.

يتضاد عالم الحقيقة – نسق الغياب مع عالم الخيال – نسق الحضور، و يتصارعان لإثبات الوجود، وتحقيق هدف السيطرة على واقع زماني فرض سطوته، وأشاع الفرقة التي تلاشت بفعلها مظاهر المتعة كلها.

تختصر هذه العبارات (أفاطم، لا تعدي تخالفني شمالي). تناقضات الحياة وصراعاتها، وتعارض الحقيقة مع الأحلام والرغبات (هجر، وتمنع، وقطع)، (وصال– متعة)، لتصبح المعادلة على هذا النحو: زمن الحلم بالوصال، زمن الحقيقة المرة –الغياب.

ففي (أفاطم ـــــ لا تعدي –خلافك ما وصلت – لقطعتها) بُنى لغوية تختزن ثنائية الحضور والغياب، حضور الأنا الداعية إلى البقاء؛ لأنّ في حضورها حضوراً له. وغياب المدعو–فاطمة، وما بينهما من منطقة وسطى، هي مرحلة التهيئة للرحيل، أو ثني الشاعر عنه، وهي النسق الثالث الغائب، والذي يعد جسر عبور إلى إحدى ضفتي الحضور أوالغياب.

تتفجّر الدلالات المضمرة المتعارضة والدلالات الصريحة مؤكدة أن جوهر التضاد قائم في أساسه على فكرة الصراع بين متضادين تمليهما نفسية الشاعر و عالمه الداخلي وثقافته، فهو يعمد إلى التغيير

ومحو عالم الآخر الخارجي لبناء عالمه الذاتي. ويجلي إيقاع الأبيات تساوق نسق النفس الواثقة من حدوث الانقطاع، مع معطيات الصورة الشعرية، إذ تستوعب الياء الممدودة إيقاع النفسالتِّعبة، المخرجة آهاتها وأناتها، في قوله:

فإنِّي لو تخـــالـــفنـــــي شِـــمالـــي خِـــلافَـــك مـــا وصلـــتُ بهـــا يَمينـــي
إذاً لقطعتهـــا ولقـــلتُ: بِينـــــي كذلكَ أجتَـــوي من يَجتَـــوينـــي

يقدم الشاعر في أنساقه المتضادة رؤيته عالمه المحيط، والتي تتصادم بشكل حاد مع رؤية الآخر – الزمن، سالب الخصب ومبعث الجفاف. والقضية الرئيسة التي تسعى المفارقة إلى كشفها تكمن في محاولتها معاينة الحياة الإنسانية من زاوية التضاد، فالإنسان حين ينعم النظر في موضوعات معينة في الحياة كفلسفة الحياة والموت مثلا فإنّ عقله ينشغل بهذه الجدلية ومفارقاتها المتنامية.

تضمر المفارقة في بنيتها الرئيسة كلّ ماهو إشكالي ناجم عن التوتر بين نسقين متضادين، النسق السائد البارز والنسق المضمر، ونتيجة لتعارض هذين النسقين قد يبرز عالم آخر أحادي الرؤية والنسق، أو هو عالم العبور بين النسقين، أو هو النسق الثالث الذي" يتكون من نظامين لايمكن أن يتآلفا، ينشط الأول منهما في إطار المعاني والقيم والاختيارات العقلانية والغايات"[1]، وقد اقتنع الشاعر بأهمية بلوغه والوصول إليه، فإذا لم يكن الوصال مع فاطمة لا يجب أن تكون القطيعة؛لأنه يريد ولوج عالم الإحساس بالذات بعيداً عن شعور الغربة والتمزق، وصولا إلى الطمأنينة.

٢- *نسق الرحيل/نسق البقاء:*

الرحيل نهج فرضته البيئة الجاهلية، وانتهجه الجاهلي مرغماً، حتى غدا ثقافة تخطٍّ من جهة، وثقافة يحلم بتخطيها من جهة أخرى. فهو هاجس أثقل حياة الشاعر، وأنهك عقله، فبحث طويلا عن وسيلة لإبعاد ثقافة الشعور بالهزيمة والاستلاب الذاتي، لكنه فوجئ بقوى القدر، التي أظهرت إحساسه بالموات في كلّ لحظة، فوقف موقف الحائر المستلَب.

وتمكِّننا أبياته الآتية من تشوف مأساة انطفاء الوجود الإنساني عبر شعوره بالتناهي في رحيله، أو رحيل من أحب عنه؛ ومحاولته تخطي حس الانطفاء عبر وقوفه في المنطقة الوسطى، أو منطقة شبه التضاد؛ إذ يقولوحس القلق والضياع يسوره، وتوقه إلى استيضاح الأمور وتجليتها واضح في لغته:[2]

---

[1] د. سي ميويك، **المفارقة**، ١٠٨.

[2] **ديوان شعره**، ١٤٢-١٤٩.ضبيب:موضع، الصحصحان: ماستوى من الا رض، الوحين: ما غلظ من الا رض وصلب، شراف: اسم مكان، الهجل: المطمئنمن الأرض، نكبن: عدلن، الذرانح: نهر بين كاظمة والبحرين.فلج:اسمبلد،

لِمَـــنْ ظُعُـــنٌ تَطَلَّعُ مِـــــنْ ضُـــــبَيْبٍ فَمَا خَرَجَتْ منَ الـــــوَادِي لِـــحِـــينِ
تَبَصَّـــرْ هَـــــلْ تَرَى ظُعُنـــــاً عِجَـــــالا بِجَنْبِ الصَّحْصَحَانِ إِلـــى الـــوَجِـــينِ
مَرَرْنَ عَلـــى شَرَافٍ فَذَاتِ هِجْـــلٍ وَنَكَّـــبْـــنَ الذَّرَانِـــحَ بِالـــيَـــمِـــينِ
وَهُـــنَّ كَـــذَاكَ حِيْنَ قَطَعْـــــنَ فَلْجَـــــاً كَأَنَّ حُدُوجَـــهُنَّ علـــى سَـــفِينِ
يُشَبَّهنَ السَّفِينَ وَهُنَّ بِـــــــــخْتٌ عُرَاضَـــاتُ الأباهِرِ والشُّـــــؤونِ

يتعارض النسقان، ليُظهِر أحدهما الآخر؛إذ يفصح نسق الخصب واليناعة والرواء والحياة –ظعن جميلات، راحلات – عن نسق الموت الكامن في الذات والمتجسِّد بالرحيل –خرجت من الوادي لحين–، فالظاعنات لسن إلا تجسيداً لفاطمة رمزالوجود الضائع من حياة الشاعر، والتي يصارع قوى الشر للحصول عليها.

يتضاد نسق الذات الغائبة، الراحلة–الظاعنات، مع نسق الذات الحاضرةالباقية– الشاعر التيتستمد حضورهامن جعب الماضي القابع في الذاكرة، (كَأَنَّ حُدُوجَهُنَّ على سَفِينِ).لتخلق جسر عبور إلى عالم الإحساس بالبقاء في بعث الحياة من جديد.وهناتتضح فجوة التوتر أو المسافة التي تتوسط النسقين، والتي يجهد الشاعر لبلوغها، دحضا لنسق الاستلاب الوجودي الكامن في الرحيل.وفيها يظهر سعي الشاعر إلى معرفة مكان الوصول بعد الرحيل.

ويبرز تحدي نسق الرحيل بنسق البقاء من خلال تحدي المكان الزمان.ففي ذكر الأمكنة التي سلكتها الظعائن، / الصحصحان، الوجين، شراف، ذات هجل، فلج/، غاية يرمي إليها الشاعر، وأهمية تكمن في تحدي الاندثار وتغييب نسق الفناء، فهو يعيد خلق المكان المندثربذكر اسمه تحدياً لنسق الرحيل، وصرعاً له، "إذ إن إطلاق الاسم معادل لعملية الخلق، فالأشياء لا توجد إلا حين يستوعبها الا داك البشري "[١]، ويكون لها أثرها البالغ في النفس.وقد يكون ذكر الأماكن "تعويذة يذكرها المثقب لحماية الظعائن منالشرور المحتملة "[٢]، أوربما هي" ضرب من الرقى، وإلحاحالشاعر عليها يمكن أن يفهم على أنه نوع من توقي فكرة الشر. "[٣].

الحدوج: مراكبالنساء، البخت:الا بل، عراضات:عريضات الظهور، الشؤون.ج.شأن، وهي شعب قبائل الرأس التي تجري منها الدموع إلى العينين.

[١]– ريتاعوض، **بنية القصيدة الجاهلية**، ١٨٩.

[٢]– عدنان محمد أحمد، **قراءة في قصيدة المثقب العبدي النونية**، ١٥.

[٣]– مصطفى ناصف، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ٦٢.

وتُجلي صورة موكب الظعن نسق الرحيل، وذلك في الوحدات التي تصور حركة أشكال الحياة التي تصارع من أجل البقاء: تطلع / فما خرجت، ، مررن / نكبن، قطعن فلجاً /على سفين، الصحصحان /الوجين؛ يضاف إلى ذلك القيمة الدلالية التي تحملها أسماء الأمكنة في تضادها، فالصحصحان يتضاد مع الوجين، الانخفاض يتضاد مع الارتفاع، وكأن الشاعر ممزق بين ماهو عال - ظاهر بارز في الوجود و ما هو خفي مضمر، وفي هذه الحيرة يعيش الشاعر نسقاً ثالثاً بين النسقين، أو مرحلة انتقال من المعلن الظاهر، الرحيل إلى المضمر المستتر، البقاء. إذ يختزن التحول طرف التضاد الأول من الثنائية، ويعتمر التحول الطرف الثاني، وما بينهما جسر عبور فيه يتضاد الحاضر مع الماضي ليثبت الزمن في المكان ويستوي فيه ماكان غليظاً.ويؤكد اسم المكان (ضبيب) أنه مفعول به لفاعله القاسي- الزمن — فهومن أخرج الخصب من الوادي، الأرض المنبسطة التي يسعى الشاعر إلى بقائها منبسطة؛ لأنّها رمز لانبساط النفس.

على الرغم من وجود فجوة التوتر التي تفصل بين طرفي التضاد/الرحيل —البقاء/ وهي الحالة النفسية الشعورية التي تجتاح ذات الشاعر وتجعله يعيش الحالة الوسطى، أوالمسافة الكائنة بين الرحيل والبقاء، بين حس التخطي، وحس الحلم بالتخطي.وهذا ما يثبت أن"الضديّة خصيصة جوهرية من خصائص الموقف الوجودي نفسه."[١]

يعيش الشاعر-إذن- ثقافةاستلاب الخصب، ويشهد انقلاب الاستقرار إلى تحول.لقد شكلت أداة الاستفهام /لمن؟/ دفقة دلالية ابتعدت عن الوظيفة النحوية إلى وظيفة دلالية، هي تصوير النفس الفاقدة مَنْ رحل، ـــفـــ/لمن/ ليست سؤالا ينتظر منه الشاعر جواباً، إنما أداة استنكاروتعجب وتصوير، أوحت بتمزق ذات الشاعر، وأضفت جواً من الحزن، إذ كشف سؤاله الإنكاري /لمن ظعن تطلع؟ /قلقه إزاء غياب نسق الأنوثة ما يعني— في ثقافته ووعيه - إفناء الخصب وفقد الحياة.ما يؤكد تعلق الشاعر بالنسق الأنثوي المجسد صورة من صورالحياة القائمة على الخصب والبقاء الإنساني.

ويتجسّد الإحساس بالصراع الوجودي في رؤيا الشاعر المتوترة القلقة للوجود الإنساني، التي تعمل على اتساع الهوة النفسية بين النسقين، فيختزن كل نسق منهما علاقة ضديّة بين ما تظهره الصورة من رحيل وفراق، و ما تخفيه من شعور يؤكّد وعي الشاعر حالة الانفصال عن الذات.

يسيطر هاجس الغياب على الشاعر، وهذا واضح في الأفعال:/علون- هبطن- مررن- نكبن- قطعن/التي تؤكد حركة الرحيل، ارتقاء فهبوط، تخطٍّ وتجاوز معاناة، وكأنّ في سير الظعائن طوافاً

[١] كمال أبو ديب، **الرؤى المقنعة**، ٧١.

يسعى إليه الشاعر، فهو رحيل لأجل البقاء. على الرغم ممّا نلحظه في هذا النسق من رحيل، فإنّنا نرى إصرار الشاعرعلىالتخطي، وسعيه إلى إبقاء ما يريد واضحين في حركة دائبة إلى تحقيق الحياة بإنقاذ الخصب من حيز الرحيل إلى حيز الاستقرار، والشعور بالسكينة.

وفي تشبيهه المواكب بسفن، /كأَنَّ حُدُوجَهُنَّ على سَفِينِ /، تأكيد حيرة الشاعر وقلقهوتوجسه الخطر المحيق بالظعائن اللواتي امتطين جمالا عريضة الظهور، مانحة الراحة الجسدية لهن، سالبة الراحة النفسية، فهي باعثة على القلقو الاضطراب لدى الشاعر. وقد تكون رحلة هذه السفينة هي رحلة اللاشعور الجمعي الجاهلي، ورحلة الفكر الجاهلي في رؤاه، وتأملاته البعيدة في الغيب، حيث ينتظره وجود من نوع آخر، وقد رأى د. مصطفى ناصفأن: " تخيّل الظعائن في سفن ضرب من الرّؤى الجماعية التي تدلّ على مخاوف الجماعة، وآمالها، حين تفكّر في الانتقال من طور إلى آخر في الحياة"[١]؛ لأنّ القلق على الوجود يجتاح تلك الجماعة، إنها الرحلة من مرحلة إلى أخرى، من عالم وجودي إلى عالم آخر يتضاد معه في الظاهر والباطن.

إن تشبيه الظعائن بالسفين نسق مضمر يحاول الشاعر جاهداً إظهاره، فهو جسر العبور من عالم الضياع إلى عالم اللقيا، وهورحلة من عالم المجهول إلى عالم الوصول بر الأمان، والحلم بالاستقرار.

فالسفين مواكب الجمال السائرة على رمال تشبه في تماوجها أمواج البحر، وفي تمايلها تأرجح وتمايل يشيان بحس الضياع والحيرة والتمزق الذي يجتاح الشاعر.الحيرة بين الشعور بالأمن والشعور بالضياع، والتمزق النفسي بين حس الوصول والاستقرار وحس الضياع، فالبحر في الشعر الجاهلي – غالباً – ما يرمزإلى الضياع والابتلاع. وصورة السفين الراحل هي النسق الأشبه بالمضاد، أو الفجوة المتوترة بين النسقين والتي يسعى الشاعر لردمها وصولا إلى المبتغى.

/ تَبصَّرْ هَلْ تَرَى ظُعُناً عِجَالا بِجَنْبِ الصَّحْصَحَانِ إلى الوَجِينِ/.

وعلى الرغم ممّا نلحظه في نسق الرحيل من آلام وآهات نفس، فإنّنا نرى إصرار الشاعر وسعيه في حركة دائبة إلى تحقيق الحياة بإنقاذ الخصب من حيز الرحيل إلى حيز الاستقرار، والشعور بالسكينة.

إنّ مراقبة الشاعرومتابعته الدقيقة موكبَالراحلين، وحركتهم يشي بتطلعاته الحالمة إلى إعادة الاستقرار، والتشبع بالخصب، وتحويل المتحرك إلى ثابت مستقر، والرحلة الإنسانيّة في عالم الضياع إلى رحلة في عالم معلوم.فرحلة الظعائن طموحات يسعى إليها الشاعر، فالإحساس بالجمال لا يمكن أن

[١] **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، ٦٢.

يكون إلا في عالم الحضور أو الوجود، في حين يغدو المضي في عالم المجهول ضربا من الإساءة إلى هذا الجمال الإنساني وعلامة من علامات الفقد.

لقد بدت المفارقة ماثلة بين الموت والحياة بفعل التصوير الدقيق لحركة الظعائن، وقد كان الشاعر يهدف من خلق هذه المفارقة إلى إعلاء قيمة الحياة بإبراز التشبث الإنساني بها، عن طريق ابتداع التحول ورحلة الكشف.ولا غرابة في أنّ شعور الراحلات- الظعائن بأثر المفارقة يظهر بصورة دالة من خلال فكرة الخصب الموجودة في بنية النصنفسها. فالظعائن، كما يبدو، تغادر المكان المعرفة/الماءإلى مكان آخر مجهول، وهذا التحول يدل على رفض الظعائن الحياةفي مكان معلوم ينذر بالخطر والموت، في حين أنّها تتمسك بالحياة /الماء حتّى لو كانت في مكان مجهول.

كان المسوغ لهذا التحول من الماء إلى الماء في رحلة الظعائن ناجماً عن شعور الظعائن بالعطش النفسي الذي يهدد حياتهن، أو تحمله معهن للتذكر في سيرهن نحو المستقبل.

وتأسيساً على هذا، فإنّ صوت الشاعر المستصرخ المستنجد المتمسك بالمكان وحدوده /ضبيب- الوادي- ذات رجل – الذرانح- فلج/ يوظّف صورة المرأة، بوصفها نسق فرعي، بما تتضمنه من دلالات رمزية متعددة، للكشف عن رؤيته الحياة والمجتمع والتجربة النفسية التي يعبر عنها، ويتحدد نسق المرأة بما يسبغه عليه الشاعر من دلالات. فالمرأة رمز من رموز الخصب المتمثل في الولادة والتجدد والعطاء.

يسعى الشاعر إلى إظهار حدة المفارقة بين الموت والحياة، وهو يقدّم عبر هذه المفارقة رؤية ثاقبة متبصرة لما سيؤول إليه رحيل الظعائن، وقد برع في إضفاء الصفات الجمالية على المجموع المؤنث؛ لأنه مصدر الجمال وجوهر الخصب في الحياة الإنسانيّة. الظعائن هي رمزلحس الضياع الذي يعتري الشاعر، وحلمه بالتخلص من هذا الشعور وصولا إلى إحساس الأمن والأمان بعيداً عن عالم القلق، على الرغم من إدراك الشاعر بصعوبة إدراك المراد، فهو صعب المنال، /فما خرجت من الوادي لحين/، وهنا يعتريه القلق من جديد ويحاول التخلص من شعوره هذا بتحدي الزمن متخذاً من قوة الناقة سبيلا لذلك. وقد تكون الظعائن" أشبه بالطموحات والمعاني التي يجري المرء خلفها، ويجري وينفق السنوات سعياً، ولكنه لا يقبض عليها".[١]

٣-*نسق القوة/نسق الضعف:*

[١]- عدنان محمد أحمد.**قراءة في قصيدة المثقب العبدي النونية**، ١٦.

سعى شاعرنا إلى امتلاك القوة، وصارع لتحقيقها، إثباتاً لذاته وإحساساً بالوجود. فاستشعر القوة في مواجهة قوى الدّهر درءاً للفناء، ورأى القوة في تخطي الضعف، و إمضاء الهم، أوتسليته على ظهر ناقة قوية صابرة صلبة متماسكة، تؤكد في حضورها تمسك الشاعر بأفكار البقاء والثبات، والرغبة في الصمود والصلابة وتجاوز المحن والصعاب؛تحريراً لنفسه–الشاعر–من الشعور بالحزن و الغبن.

كانت الناقة خير مجسد لذات الشاعر الحالم بالقوة والتحدي، ومعادلا نفسياً له، أشبعت ذاته التائقة إلى الإحساس بالوجود، عبر التحدي والسرعة.

تشكل الناقةنسقاً رئيساً في الصراع بين طرفين سعياً إلى تأكيد مظاهر القوة، وصولا إلى فكرة الانتصار على قوى القهر والموت، "إنها القناع الذي تختاره الذات، وهي تعيش تجربة التحدي. من هنا هذا التأكيد على تجميع صور خارقة، وتجليات عجيبة، يمتزج فيها القول بالمحاورة، والحركة بالمناولة، فيغيب بذلك الوجه الحقيقي، وتتّحد الذاتان معاً، فتذوب الفوارق، لتكون التجربة واحدة، والصراع متشابهاً، لا تستطيع أن تميز فيه الوسيط من القناع، و الأصيل من الدخيل، فالكل يجابه ويصارع مختلف التحديات "[١].

يتأمل الشاعر ناقته ويسهب في وصفها، متعجلا إبراز قوتها اللازمة للتحدي ومواجهة الصعاب، ضماناً لاستمرارية وجوده، ودحراً لنسق الضعف الذي استشعره جراء رحيل الظعائن.هي ناقة صلبة، آمنة من عثرات الدهر، رغم قلقه، في قوله:[٢]

فَسَلِّ الهَمَّ عنكَ بذاتِ لَوثٍ ... عُذافِرةٍ كمطرقةِ القيونِ

بِصادقةِ الوجيفِ كأنّ هرّاً ... يباريها ويأخذُ بالوَضين

كَساها تامكاً قَرداً عليها ... سَوادِيُّ الرَّضيحِ مع اللَّجينِ

كأنّ مواقعَ الثَّفناتِ منها ... معرّسُ باكراتِ الوِرْدِ جونِ

يُجِذُّ تنفُّسُ الصّعداءِ منها ... قُوى النّسعِ المُحَرَّمِ ذي المُتونِ

---

[١]– حسين مسكين. **الخطاب الشعري الجاهلي**، ٧٩–٨٠.

[٢]– **ديوان شعره**، ١٦٥–١٩٠، العذافرة:الناقة القوية الصلبة، القيون: الحدادون، الوجيف: ضرب من السير، الوضين: حزام الرحل، سوادي الرضيح: أي تعلف بالنوى المدقوق، تامك: سنام مشرف، قرد: ملبد بعضه على بعض، الثفنات:الركبة، التعريس:النزول آخر الليل، أو أوله، الورد:الماء الذي يورد، باكرات الورد:مبكرات إلى الماء، جون:سود.، يجذ:يقطع، تصك:ترمي، مشفتر:الحصى المتفرق، الجؤجؤ: الصدر، الغوارب: الا مواج، الحدب:ارتفاع الموج، البطين: الواسع البعيد.

تَصَـــكُّ الجـــانبيـــنِ بمُـــشفَترِّلُه صوتٌ أبحُّ مـــــن الـــــرنيـــــنِ
يشُـــقُّ الماءَ جؤجؤها، وتعلوغـــوارِبَ كـــُلٍّ ذي حَدَبٍ بَطِـينِ

يرى المثقب العبدي في ناقته نسقاً بارزاً يظهر القوة عنواناً، يخالف النسق المضمر الكامن في أبعاد السرعة المنجية من غياهب الزمن المدمر في مجاهل الصحراء، بعد أن فرغ المكان، وعاث فيه الزمان.

تكمنالقيمة الدلالية للقصيدة والعلاقات الداخلية التفاعلية فيها فيمكونين بنيويين تقوم عليهما الأبيات، هما النسقان المتعارضان: نسق الضعف ممثلا بالهم البارز، ونسق القوة الأبرز، وهي مفارقة تقوم في أساسها على التغاير والتعارض بين ثقافتي القوة و الضعف، فالشاعر يرمي، وفقاً لنسقه الثقافي، إلى تشكيل عالم القوة، وقد ترتب على هذه المفارقة توجه نسق القوة إلى تحجيم نسق الضعف.

تتحرك الأبيات في إطارين من تصورات الذات، فالدهر تارتان:إحداهما موت، والأخرى كفاح من أجل البقاء.وكلتاهما مأساوية، فالكدح-أيضاً- صورة من صور العذاب والشقاء الساعي إلى تحقيق السعادة ببلوغ المراد.

يمضي الشاعر في توليد الثنائيات المتضادة التي تمثل تعارضات أنساق (الأنا /الآخر –الضعيف /القوي -الغالب/المغلوب) وغيرها في سياقات لغوية ظاهرة ومضمرة، مثل: (الهم/ذاتلوث-الهم/مطرقة القيون-صادقة الوجيف/هراً – تامكاً/ سَوادِيُّ الرَّضيحِ مع اللَّجينِ- مواقعَ الثَّفِنات/ باكراتِ الوِردِ جونِ)، وتختصر الأنا (الناقة، بديل الذات – ذات لوث) النسق الأقوى، الأكثر حضوراً وتميزاً، وتعكس محاولة الشاعر تحدي الزمن –الآخر، بالقوةالتي هي أساس الناقة، (كمطرقة القيون) كناية على الصلابة والقدرة والمواجهة، والسرعة، حتى إن هراً (يباريها)، وهنا يتفرع من النسق الرئيس نسق فرعي، وهو نسق الخوف الداعي إلى السرعة، والناقة في طبيعتها لاتوصف بالسرعة، وهي –هنا- تسرع مكرهة، فهي تريد الخلاص، والنجاة من زمن غادر، وهذا ما يفسر سرعتها، وهنا مكمن النسق المتواري، الخوف دافع للسرعة وصولا إلى ضفة النجاة، والإحساس بالضعف دافع إلى الإحساس بالقوة، والشعور بالقلق والتوتر، والنفور دفعها إلى الهرب من واقع مستلب إلى واقع أكثر إيجابية.

تتعدد الصور وتتكثف الأبعاد التي تشير إلى" أن الواقع "المؤرق بحلم القوة هو الذي حفَّز المثقب العبدي، ودفعه دفعاً إلى البحث عن الصلابة"[١]، ففي عبارة/ عُذافِرةٍ كمطرقةِ القيونِ /نلمح أبعاد القوة والإصرار والقدرة على المقاومة، تمكيناً للناقة -الشاعر من إزاحة الهموم والتغلب على الصعاب في

[١]- وهب أحمد رومية. **شعرنا القديم والنقد الجديد**، ، ٢٢٥.

تشكيل يتجه صوب الضخامة والصلابة والنشاط الجسدي/كأنّ هرّاً يباريها ويأخذُ بالوَضين/، تعزز صورة الهر المباري نسق التحدي والقوة.

يظهر النص الوضع النفسي للشاعر في لحظة أزمة تأتي فور هذا الخروج في واحدة من أكثر الصور غموضاً وإيحائية، /كأنّ هرّاً يباريها ويأخذُ بالوَضين/؛ إذ تعبر عن جهد الشاعر في عبور نسق الضعف من حالة المغلوب إلى الغالب. والهرّ الذي يحاول مباراة الناقة يرمز إلى الدهر الذي حاول خدش الشاعروتعذيبه حين حرمه أنثاه. إنّه تجسيد للصراع الوجودي المعيش الذي يحاول الشاعر تخطيه وصولا إلى القوة والصلابة، و الإصرار على الوجود عبر الحركة والنشاط وحسّ الخصوبة. وهو يستحضر الصور الدالة على قوة الناقة وأبعاد القوة:

يُجُذُّ تنفُّسُ الصّـُعداءِ منها قُـــوى النّســعِ المُحَرَّمِ ذي المُتونِ

ففي تنفسها المتواتر المتتابع صعوداً فنُزولا ثنائية ضدية، امتلاء فإفراغ وما بينهما من برهة زمنية، تُشكل نسقاً فرعياً متوارياً، يتم فيه تهيئة الجوف للامتلاء، أوجسرعبور يصل حالة الشهيق بالزفير، ويظهر الخوف والقلق اللذين يعتريان نفس الناقة ويقودانها إلى سرعة يكاد ينقطع معها النَّفَس. ويكثف الفعل/يجذَ/ قوة النفَس ومفعوله في الصدر، الذي يضيق به لدرجة تتقطع معها السيور الجلدية المحيطة بالجوف. وهذه الطريقة في التنفسدليل خوف وهرب، وحنق واضح على زمن أذاق الناقة –الشاعر المر، وفي سرعتها ترطم الحصى بقدميها محاولة تكسيره، حتى تصيب جانبيها دليل هروب أيضاً.

والحصى هي نسق الرحيل، عوائق الطريق أو عثرات الزمن التي تحد من متابعة الناقة المسير، والتي تحاول الناقة جاهدة تفتيتها، مصدرة صوتاً شجياً حزيناً، /أبح من الرنين/، في إيقاع حزين يطارد الشاعر في رحلته. الناقة دائمة الفرار من مرارة الزمن وقساوة الحياة، هاربة من العطش إلى عالم الارتواء، (باكراتِ الوِردِ جونِ)، بعد أن أرَّق السواد النفسي والكوني الشاعر، وحدَّ من إمكاناته، فبحث عن البياض في غياهب السواد.

هكذا يتمثل تضاد الأنساق في صورتين ذاتيتين حادتي التضاد والتعارض بين عالمين:عالم البطل المندفع في غربة الوجود في جسد الطبيعة الخشنة الواعدة وعالم الإنسان المستسلم.

وما ابتداء الشاعر قصيدته بفعل الأمر/سَلْ/، إلا تأكيد لرغبته في الانعتاق من نسق الهم وحس الانفطام الذي اعتراه جراء ابتعاد فاطمة عنه. فالناقة تمثل –هنا–ثقافة العمل، فبعد الحزن الذي اعترى الشاعر في مشهد الظعائن يقرر تغيير المسار إلى مسار إيجابي وفاعل.

وقد تجلى هذا التضاد الحادّ بين القوة والضعف في قوله: /فسل الهم عنك بذات لوث/، يجسد الفعل "سلِّ" أعلى درجات الفاعلية مناهضة للسكون/الهم/، لارتباطه بوجودالذات الباحثة عن كينونتها. وانطلاقاً من هذا يتجلّى الدعم الإرادي الذي تولّد من مشاعر الضعف /الهم، ومسلاته: ذات لوث/، فسعي الشاعر إلى حبِّ نسق الضعف وإحقاق نسق القوة في دائرة الصراع كان كبيراً.

لقد ضخم الشاعر نفسه - نسقه، /كأنّ هراً يباريها، كساها تامكا، كأنّ مواقع الثفنات/، وجعل منها نسقاً قوياً مستقل الأنا يتصادم مع نسق الدّهر.

وتشي الأفعال المضارعة التي تتعاضد في خدمة فكرة المواجهة عبر النشاط والعمل، / يباريها، يجذ تنفس الصعداء منها-تصك الحالبين بمشفتر —يشق الماءجؤجؤها ويعلو/ بمعنى القوة الحقيقية التي يواجه بها الشاعر تجليات الغياب الذاتي. فهي تحمل في إشاراتها دلالة التصادم والصراع في الحياة بين نسقي الرحيل والبقاء والقوة والضعف.وتؤكد تبنيه القوة الحقيقية في مواجهة غياهب الدهر.

يغدو نسق االناقة-هنا-تحدياً وتجاوزاً لكل ما من شأنه إعاقة حركة الذات، وحريتها، ويبدو الشاعر قوة فاعلة منفعلة مع الوجود لتحقيق الذات، عبر صورة الناقة المواجِهة الفناء، معتمداًتعارضات رئيسة في نهجه كـــ:استسلام/مقاومة هزيمة/ انتصار، الثنائيات التي تختصر فكرة انهزام الضعيف وسيطرة القوي، سل الهم/ذات لوث، باكرات الورد/جون.

يؤسس نسق القوة طرفاً في جدلية الصراع لمواجهة الضعف، وتبدو الناقةحاملا رئيساً لهذه المواجهة، و معادلا نفسياً للشاعر الباحث عن ذاته، فهي أداة لمواجهة تحديات الحياة.هي نسق حاضر قوي يتضاد مع نسق المرأة الغائبة التي تظهر في رحيلها الفناء النفسي الذي يعيشه الشاعر.

والناقة -هنا- نسق الأنوثة القوية المناهضة لنسق الأنوثة الضعيفة، الهاربة من واقع الحياة والمستسلمة لمفردات البين والغياب، والتي برزت صورتها في المرأة الغائبة - الراحلة.

يعلن النص عن صراع وجودي يعيشه الشاعر، صراع بين الإحساس بالفقد والسعي إلى تجاوزه، إذ تبدو الحياة مساحة واسعة تتعالى فيها أصوات الخراب والدمار، إنها مساحة لا بد من اجتيازها، ما دفع الشاعر إلى تشكيل لوحة مناهضة تكتنز في مقولاتها ملامح القوة والتحدي والتماسك، أملا في الثبات والبقاء، وتجاوز المحن، "فدخول الناقة غالباً ما يأتي إثر لحظة مقهورة يبدو فيها الشاعر مهزوماً أمام شروطه، وتأتي الناقة كوسيلة للخلاص من هذا الموقف فهي دوماً أداة هرب، أداة تسعف الانسان على نسيان الهم". [1] وإرواء نفسه العطشى إلى الخصوبة والعطاء.

[1] يوسف اليوسف، **بحوث في المعلقات**، ٨٩.

تتسم عناصر الصورة، /عُذافرةٍ كمطرقةِ القيونِ، يباريها ويأخذُ بالوَضين/، بسمة الحركة والفعل دحضاً للاستكانة والضعف، وتهيئة للنفس لتحدي الفناءتمسكاً بالحياة، انطلاقاً من أنّ مواجهة الموت في صورة الأعداء هي مواجهة للعدم، بمعنى أن " الإنسان يسعى بوعي أو بغير وعي في مواجهته للموت، أوحمل نفسه على الخطر إلى قهر العدم نفسه". [١]سعياً إلى الوصول إلى نشوة الحياة.

يوجه الشاعرعنايته بالانساق الضديّة التي تجمع القوة والضعف، والتي تبدو في ظاهرها باعثةَ على التنافر والاختلاف، إلا أنها في واقع الأمر تأتلف في النهاية ضمن سياقها لتبرز دلالة واحدة تفضي إلى التناقض الداخلي، وتشير إلى عمق القلق والحيرة والمعاناة النفسية الناجمة عن عدم الانسجام مع واقع النسق النقيض، أي مع ثقافة متغايرة لما يعيشه. ومن هنا تنبع أهمية التضاد الكامنة في مسافة التوتر والفجوة الكامنة في المنطقة الوسطى بين النسقين، ويسهم ازدياد درجة الشعرية في بلوغ التضاد جماليته.

أقام الشاعر علاقات التضاد انطلاقاً من المقابلة بين القوة والضعف، وبين الحركة والسكون. ولم يكن إثباته الذات قائماًعلى تغييب الآخر فحسب، بل على النيل من وجوده وفق ثنائية الوجود/العدم التي تجسد ثنائية النفس /الجسد.

قد تأتي أهمية طرفي النسقين من التناغم والتفاعل لا من التضاد، فالقوة والسرعة والتحدي طرف ثنائية بارز يضمر الضعف والانهزام المتواري خلف القوة الخيالية للناقة–المعادل النفسي للشاعر، والهدف هو البقاء والسيطرة على الضعف بفعل القوة.

ويختار المثقب العبدي طريقاً في مواجهة المصير الذي آلاليه جراء ابتعاد المرأة – صانعة الإحساس بالوجود، هو طريق الناقة جسر العبور إلى عالم الحياة بعيداً عن الهم والحزن في أبيات له يظهر فيها مغامراته في القوة تحدياًللزمن قائلا:[٢]

قَطَعتُ بفَتلاءِ اليَدينِ ذَريعَةٍ يَغُولُ البلادَ سَومُها وبَريدُها
فَبِتُّ وباتَتْ بالتَّنُوفةِ ناقَتي وباتَ علَيها صَفْنَتي وقُتودُها

[١] حسني عبد الجليل يوسف، **النفس في الشعر الجاهلي**، ١٠٤.

[٢] **ديوان شعره**، ٨٨، الفتلا ء: شديدة العصب، ذريعة: كثيرة الا خذ في الا رض، يغول البلا د:يطويها ويذهب بها في السير، السوم: المر السريع، بريدها: سيرها في اثني عشر ميلا، التنوفة:الصحراء، الصفنة:سفرة لا هل البادية يجعلون فيها زادهم، أوماءهم.

تحضر حالة الصراع والمواجهة من داخل عالم الناقة في ثنائيات، (قطعت /ذريعة – فبت /وباتت بالتنوفة – سومها/ بريدها، صفنتي/قتودها)؛ إذ يتصدر نسق القوة فكرة البيتين، ويتماهى صانع القوة –الناقة مع المخطط لها–الشاعر، بل تبدو الناقة قناعاً، أو نسقاً قوياًيُواري خلفه نسق الضعف، حين يدمج الشاعر ذاته بذاتها لاغياً الفرقة والانفصال، ساعياً إلى الوحدة والاتصال، خارجاً من عالم الضعف النفسي والجسدي إلى عالم القوة متصارعاً، متحدياً في صوت داخلي وخارجي، ينحو به نحو القوة في زمن الضعف، باحثاً عن ثبات يسهم في استمرار حياته على الرّغم من اقتناعهبعبثها، محاولا الانسجام مع العالم الإنساني في مجتمعه؛ لذلك تركز النسق الذاتي على تجاوز الضعف هروباً من التصدُّع. وهذا الصوت الداخلي الذي يدعوه إلى الصراخ وإلى العنفوان ظاهراً هو الذي قاده إلى المغامرة غير عابئ بالنتائج، هو الفجوة الفاصلة ما بين النسقين، أو برهة الانتقال إلى مرحلة الغلبة أو نسق القوة، فهو يشكو من الدهر وإدباره عنه، ثم تستيقظ بين جوانحه روح الفتيان المغامرة المتمردة، فيضرب بناقته ظهر الفلوات في الهواجر، معتمداً سلاح الأطراف القوية، ذراعان مفتولان شديدتا العصب، /فتلاء اليدين، ذريعة/ وقدمان سريعتان، /يغول البلاد سومها وبريدها/ تجريان بسرعة دائمة، يتابعها النظرتارة، وتارة يغفو عنها لسرعتها الكبيرة.وكأنها هاربة من أمر ما، تريد الخلاص من عالم الضعف المسيطر إلى عالم القوة المنظور.

ولعلّ صفات الناقة –جسر العبور إلى ضفة الوجود/ فتلاء اليدين –ذريعة–يغول البلاد سومها وبريدها /يؤكّد سعي الشاعر إلى إنهاء حالة الصراع، فهي ناقة سريعة في عدوها، فتية، ضامرة في شكلها، خفيفة في حركاتها، تتزود ماءًوزاداً تقوي بهما النفس والجسد لمتابعة المسير، فالماء رمز الخصب والعطاء الذي يروي تعطش الشاعر النفسي إلى الخصب.

هذه الناقة جوازسفر يوصل الشاعر إلى عالم الخلاص، عبر القوة والخصب، العنصرين اللذين يعوضان ما نقص الشاعر، وهذه القوة التي يسبغها الشاعر على ناقته ما هي إلا إشباع لغريزته في القوة والبقاء، هروباً من الضعف والإحساس بالفناء.

لدى الجاهلي شغف بالحديث عن فهمه الخاص للوجود والسعي إلى كسب الصراع الوجودي؛ لذلك تظهر حالة التضاد بين نسق الشاعر والنسق المضاد. وتتكثف في صراع الأنساق لغة التحدي، إثباتاً للوجود أمام العدو الأكبر/ الزمن. "وقد كشف التضاد من خلال مركزيته النامية في النص من تكوين صورة لهذا الصراع وعمقه في العقلية الجاهلية، وبمعنى آخر، فإن جدلية التضاد تفرز لنا ضربين من النظام عرفهما الإنسان الجاهلي، الأول نظام يتخذ من الكثرة أداة لإظهار سلطته وقوته، والثاني

نظام مصغّر هو في نظر النظام الأول تابع إمّا أن يخضع لسلطة الأول، وإمّا أن يهمّش"[١]. بمعنى أنّه قليل الحضور، ضعيف الأهمية لكنه يشكل طرفاً نقيضاً، وكان الشاعر من النوع الثاني، الذي يرى في الكثرة ظلاً يستظل فيه.

وبحثُ الشاعر عن الحقيقة الثابتة يواجَه دائماً بالحقيقة المتغيرة، فالنسق الآخر يحارب نسقه الخاص، وقد لا يمكّنه من المضي نحو هدفه المنشود.

يرتبط " حديث الناقة عند الشاعر بعمق رؤيته الوجود، والحياة والموت، وليس مجرد وسيلة لبلوغ موضوع، أو طريقة للتخلص من ماض حزين فقط.إنها تشكل عالماً، ومجالا، تكشف فيه كل ذات عن تجربتها في التصدي، ومواجهة الموت من خلال عرضها في مشاهد، يتداخل فيها الواقعي والطبيعي بالمتخيل، والحلمي والرمزي، فينسج من هذه العناصر عالماً من الأحداث، التي تختزل حالة هذا الإنسان في البحث عن الموقع الذي اختاره، والفضاء الذي حدده ليحتضنه، بعيداً عن فضاءات ضاقت بفعل قوى الفناء، وانحصرت بفعل الجذب، وتغيرت صورتها بفعل هول الزمن ".[٢]لأنه قوي الإرادة، منعتق من الإحساس الضعف.

٤-نسق اليباب /نسق الخصب:

عاش المثقب العبدي صراعاً وجودياً بين نسق اليباب المفروض نفسياً وبيئياً، ونسق الخصب الساعي إليه.وقد جسد المشهد الطللي الغني" بالمعاني الرمزية من الوجهة النفسية بخاصة نسق اليباب المكاني، فقد اعتمد الشعراء في صياغتهم الفنية على الطاقات التي تفتقها خبايا النفس وتجارب الذات الشاعرة، حتى تلونت هذه المقدمات بتلونات النفس الإنسانيّة في تعاملها مع ملابسات الحياة ثم أسقطت كلها على الإطلال، ومن هنا كانت رمزية الطلل تختزن هذه المعالم النفسية، وتعمق من تجربتها "[٣]، ويهدف الشاعر من خلالها إلى تبديل نسق الخواء بآخرنقيض يعلن انهزام اليباب وإعلان الخصب نتيجة.

الطلل عند المثقب العبدي مشهدان متصارعان في الذات: المشهد الأول: مكان ثابت يعجّ بالخصب والحياة، وهومكان الماضي السعيد، الرامز إلى التحول من عالم الحياة إلى عالم الفناء الذي أرغم عليه. والمشهد الثاني: هو المكان الخاوي الذي يحمل في طياته الحاضر، وهو الشاهد على فعائل

---

[١]- يوسف عليمات، **جماليات التحليل الثقافي**، ٢٥٤.

[٢]- حسن مسكين، **الخطاب الشعري الجاهلي**، ١٢٣.

[٣] بوجمعة بوبعيو، **جدلية القيم في الشعر الجاهلي**، ٤٢.

الزمن في التخريب والإفراغ والإفناء، ويصطدم بالمكان الماضي في علاقة ضديّة. رغم ذلك يحاول الشاعر خلق إمكانات إبداعية يتحدى من خلالها عملية القهر المكاني للذات، مصوراً إصراره على الثبات أمام الهدم واليباب في قوله:[1]

ألا حَيِّيَا الدَّارَ المُحيلَ رُسُومُها تهيجُ علَينا ما يهيجُ قَديمُها
سَقى تلكَ مِن دارٍ ومَنْ حَلَّ ربعَها ذِهابُ الغَوَادِي:وبلُها ومُديمُها
ظَلِلْتُ أَرُدُّ العَينَ عَن عَبَراتِها إذا نُزِفَتْ كانتْ سِراعاً جُمُومُها
كَأَنِّي أُقَاسِي من سَوَابِقِ عَبْرَةٍ ومِنْ لَيْلَةٍ قَد ضَافَ صَدرِي هُمُومُها

المكان هنا نسقان، الأول: مساحة سوداء ترمز إلى الدمار، ويجسدها /الدَّارَ المُحيلَ رُسُومُها/، والمكان الثاني: مساحة بيضاء، ترمز إلى البقاء، وهي دارمتمناة، تجلي حالة الخصب /سَقى تلكَ مِن دارٍ /.

يعيش الشاعر مفارقة حادة بين نسقي الماضي والحاضر، الوجود المتمثل في ماضي الدياروما اختزنه من فتوة وشباب وقوة، وحاضرها وما يمثل من موات ودمار وفناء.؛ إذ تؤدي المفردات الآتية/الدار المحيل رسومها-ما يهيج قديمها/ دوراً دلالياً يؤكّد الأثر المأسوي لحال الوحشة والرعب والوحدة التي يستشعرها الشاعر في هذه اللحظة الطللية، وتوحي بثقافة الاستلاب الوجودي التي يفرضها منطق الجدب والعفاء.

تعلن أداة الاستفتاح/ألا /في بداية الأبيات الشرارة الأولى لدهشة الشاعروحيرته، وإنكاره ما حل بالمكان من يباب وعفاء. فبعد أن كان ماضياً حافلا بالحياة الإنسانيّة /تهيجُ علَينا ما يهيجُ قَديمُها/. شمله الاندثار، فانعدمت الحياة، وانطمست معالم الإنسان، فقد طغى السلب على الإيجاب، ومحا الزمن علائم الحياة والوجود، وغلب الطرف الأول من الثنائية –الفناء/الثاني-الحياة، غلب الجدب الخصب الكامن لإعلانه الفاعلية على ساح الوجود، وغلب الرحيل البقاء، وشمل العفاء فضاء المكان، فانعدمت الحياة، وانطمس الوجود، فثمةخلل سيطرعلى دورة الحياة، مادفع الشاعرإلى البحث عن وسائل يتحدى عبرها استلاب المكان وغدر الزمان.وأولى هذه الوسائل:معرفة الديار وتحيتها، والدعاء للدياربالسقيا. فلفظة /سقى/ تحمل حدة واستثارة، وكأنَّ قوة خفية منحت الأطلال رزقها. فكان

[1] ديوان شعره، ٢٣٤-٢٣٦.المحيل:أتت عليه أحوال وسنون، ذِهاب:المطر الضعيف، الغوادي: جمع الغادية، وهي السحابة تنشأ وتمطر غدوة، الوبل:المطرالشديد، المديم:مطردائم، العبرات:الدموع، نزفت: سالت، الجُموم:الماء الكثير، ضاف صدري: نزلت الا حزان ضيفة على صدره.

للديار كما أراد المثقب في دعائه، كان لها الحياة. وعلى الرغم من ذلك يسعى الشاعر إلى خلق حس وجودي من بين ركام العدم، فمن الدمار، /الدار المحيل/، يسعى لإيقاظ الحياة /ألا حييا/.فهو يلقي على الديار تحية، فيها دعوة للإحياء وإعادة ما كان، فنراه يرفع الدعاء في مشهدينشر فيهالحس الجمالي المغاير لحس الموت واليباب الذي يفيض من صورة الديار القاحلة.

فقد تحدى الشاعر الفناء في التحية، ومن خلالها سعى الشاعر إلى انتزاع الإحساس بالوجود، تأكيداً لفكرة البقاء في مواجهة اليباب، الأمر الذي فرض على الشاعر البحث عن سبل يتحدى عن طريقها اليباب المكاني للإنسان. وأولى هذه السبل التي يضمرها صوت النص الشعري تظهر بالمعرفة التي تحفظ ذاكرة الإنسان من النسيان. وهذه المعرفة رد مناوئ على شمول العفاء التي أشرنا إليها. وهنا يبرز النسق المضاد – نسق الحياة والوجود، ما يؤكد تأرجح الشاعر بين حسّي البقاء والفناء.

/ سَقى تلكَ مِن دارٍ ومَنْ حَلَّ ربعَها ذِهابُ الغَوَادِي:وبلُها ومُديمُها/.

في دعائه للدار بالسقيا دعوة للعبور إلى الوجود، وفي اسم الإشارة – تلك–حضور زمني بعيد، غيَّب الساكنين عن حاضر الوقوف الذي اجتمع بالماضي ليتماهى الشعور بالوجود مع الشعور بالعدم. /تميج ما يهيج قديمها/.لقد حدد الشاعر لحظة الوقوف ببعدين زمنيين يصل بينهما الديار الخربة، البعدالأول:الحاضر /ألا حييا الدار/والبعد الثاني الماضي /قديمها/.وهذا يؤكد أن الأشياء مرهونة بالزمن، وأسيرة قيده.

يغاير نسق اليباب المتمثل بالجفاف عبر رحيل الآخر نسق الأنا الموجودة في ذات من رحل.وتجلي الضدية بين (الدار المحيلرسومهاو/السقاية) قضية كبيرة الأهمية في التجربة الإنسانيّة، وهي قضية إحساس الفرد بالوجود والعدم في إطار النسق الجمعي. فقد قمعت البيئة الشاعر و استلبت وجوده، في قوله:/من حل ربعها/. وهذا الأمر جعل الشاعر يعيش مرحلة تهميش بفعل تجريد الذات من فاعليتها.

إنّ هذا التمايز بين نسقي (الدار المحيل/الربع الراحل) يظهر ثنائيات:الرحيل/البقاء، الحياة/الفناء.

كما تختزن ثنائية:/الدار المحيل قديمها–سقى تلك من دار/القدرة الظاهرة بفعل الخصوب، المتواري وراء الإقرار بالعجز.ولنصغ إلى إيقاع حرف القاف، /سقى–أقاسي – سوابق /، ونستشعر ما يحدثه من أحاسيس بالصلابة والقساوة والشدة التي تعتري ذات الشاعر الطاغية علىخاصية الضعف التي يوحي بها إيقاع حرف الهاء الواشي في تلفظه بالاضطرابات النفسية التي تعتري الشاعر، أو حالة الحزن والضياع التي تصيبه.[١]

[١] ينظر، حسن عباس، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، ١٤٤، ١٩٢.

لكن الشاعر لا يتخلى عن توقه إلى استبدال النعيم بالبلى، وذلك رغبة في الصمود والتحدي.

ففي قوله /سقى تلك من دار/ يقدم الشاعر أجمل جزيئات صور الخصوبة بوصفها الطرف المضاد لقوى الزمن التدميرية، ولابد من ذكر خلو صور الخصب من عامل الزمن، على خلاف صور الخراب الممعنة في حضور الزمن بين طياتها.تتكثف الأنساق في سياقات لفظية حاملة بنى متضادة، مثل: الوجود/العدم، والحياة/الموت، تجسدها الثنائيات التالية: ألا حَيِّيَا الدَّارَ المُحيلَ رُسُومُها / تهيجُ علَينا ما يهيجُ قَديمُها، سَقى تلكَ مِن دارٍ / ذِهابُ الغَوَادِي- أُقَاسِي/ سَوَابِقِ عَبْرَةٍ.

وهذا التقابل الدلالي بين اليباب والخصب هو الذي يولد الحدث وصورته في الأبيات، ويجعل الصراع بين الحركة والسكون، وبين الواقع والأمل يحتد ليواكب الصراع النفسي الذي يعتمل في داخل الشاعر.

ومن حركة الاندثار والعفاء تولد حركة مضادة لها؛إذ تشكل الحركتان ثنائية ضدية.وهنا يتواشج الاحتفاء بالحياة مع الإحساس المأسوي بحتمية الموت، وقد يشي هذا الازدواج بين الإيجاب والسلب بحال التوتر القائم، والمعيش في كلّلحظة تتجلى المفارقة الضدية هنا في العلاقة الكائنة بين نسق اليباب ونسق الخصب.ونظرة متمعنة في صور النص تفضي إلى تلمس أفكار متعددة تعلن هموماً تستبد بقلب الشاعر وعقله، تدفعه إلى السعي إلى عالم يعيد فيه تشكيل الحياة من جديد، حياة مليئة بالحركة والتوالد والخضرة والنماء، حين يصف الشاعر اليباب وقد رزق خصباً؛إذ "يتحوّل المطر، رمز الخصب والحيوية الذي ينبثق فجأة حين يسود الموت، إلى متخلل جذري على صعيد بنية القصيدة.ووعي الشاعر الجاهلي بتأكد المطر رمزت له هذه الطبيعة في حين أنه لا يقدم بوصفه قوة مدمرة".[1] وتكشف صور النّص وعباراته عن فكرة الخصوبة كإعلان عن الحياة والوجود. إنّها عملية زمنية تكون حصيلتها النقيض المباشر للعفاء والإمحاء.

يضاف إلى الأنساق المتضادة دور البنية الصوتية في إطلاق قافية القصيدة، المنتهية بألف ممدودة، مجسدة حنين الذات العميق إلى عالم الوجود ونزوعها إلى الانطلاق خارج الأفق المغلق؛ إذ تبدو القافية والإيقاع انفجاراً داخلياً نفسياً، و طرفاً من ثنائية ضدها التجربة المعيشة –الأفق المغلق. إنّ أعمق ملامح النص دلالة هي الصورة الشعرية التي يحاول الشاعر عن طريقها إبراز النسق النقيض، نسق الخصب عبر الماء.

[1] كمال أبو ديب، **الرؤى المقنعة**، ٧٧.

إنّ الزمن هو محور النص الشعري، فوصف الطلل بالبالي يبرز مسألة الزمن ومأساة التحول والأفول والاضمحلال، وفي بثه روح الحياة في الطلل المتمثل في مخاطبته، وفي الحديث عنه تحول لنسق نقيض، فالطلل اندثار، و تحيته ومناجاته عاملان يحولان البلى والشعور به إعماراً، ويبثان الحياة في جسد موات.

تتجمع السمات الدلالية لتوحي بهول الألم النفسي الكبير المحيط بالشاعر؛ إذ يغدو الطلل الذي أبلاه الزمن معبراً فنياً، ومسقطاً للشاعر في صراعه مع الزمن المحول شبابه شيخوخة، وحيويته ضعفاً وانكساراً،

على الرغم من ذلك، يحاول الشاعر البحث عن الحياة في غمرة الصراع، كرد على اليباب الذي مارسته الطبيعة، فتحدّى الموت بإلقاء التحية وذكرى الحضور، وبالإصرار على الثبات أمام السلب المكاني.

ففي الوقوف إيحاء مباشر بسعيه إلى إعمارالمكان؛ إذ تبدو لحظة الوقوف لحظة مناشدة، وذرف الدموع قصد بعث الحياة؛إذ تشكل دموع الشاعر المقترنة بالماء إحياء نفسياً للديار الموات.وقد يظهر مشهد الدمع الأملَ باستعادة الحياة الماضية.

يشكّل الزمان والمكان مفاهيم نسقية تظهر موقف المثقب من آثارها ونتائجها، وفق إشكاليات الوجود سعياً إلى تحقيق ذات تمكن من التصدي لما يتضاد مع أفقها أو يهددكيانها.

وتتجلى المفارقة في رؤية الشاعر بين زمن يسلب كينونة الإنسان وحركية الحياة، ومفاهيم ثقافية لازمة لإقامة أركان الحياة؛ إذ تقابَلُ مساحة الأسود في الصورة بوشي من البياض بغية إحداث لون من التنافر والتناغم في الصورة." ويمثل الأبيض والأسود حقيقة نفس الشاعر، ويحملان الدلالة النفسية أكثر من كونهما تقليداً أو تحدياً ورغبة في الإبداع ولا سيّما حين يكونان متقابلين"[١].

يحاول المثقب العبدي تحدّي الزمن من خلال الذكرى والإخصاب، كما يتحدى الشاعر نسق المكان المتهدم في إقامة نسق المكان الخصيب، مظهراً حلمه وطموحه في التغلب على سلبية المكانبالتصالح مع مكوناته كاشفاً عن نسق مكاني مضاد. فهو يبرز أنّ"التهدم المكاني أثر بدوره في التهدم النفسي، حين تصديه للحركة الزمانية المعبرة عن مشاعره الخفية الحزينة وذلك يؤدي حتماً إلى إحباط الذات ودفعها إلى الانتكاس بدلا من الاستمرار، لكن النفس المنتكسة في شريحة الأطلال ليست

١د.سمرالديوب، **الثنائيات الضدية**، ٢٧٦.

بالضعيفة لتقهر فتسكت، أوتسجن فتهدأ، وتطلق التمرد، بل هي نفس تحاول لأنها لم تضع في عرفها مبدأ الاستسلام"[١]

ومن هنا نظر الشاعر إلى المكان الخاوي نظرة قلق، تلخّص ما يعتمر أعماقه من مشاعر وانفعالات، لحظة ينعي فيها وجوده الراحل مع من رحل؛ لذا، " فالطلليّة أفضل انكشاف لعذابات الإنسان الجاهلي، أي لنفسانيته الاجتماعية، ولصياغة واقعه لروحه "[٢]؛إذ يشكل المكان المقفر في النظرة الجاهلية واقعاً مؤلماً للجاهلي نظراً لارتباطه بالجماعة التي عاش معها تجربة وجودية، ولا غرابة في ذلك مادام المكان، كما يقول باشلار:"يرتبط بقيمة الحماية التي يمتلكها والتي يمكن أن تكون قيمة إيجابية "[٣]. يتضاد المكان مع الرحلة، بل"إن الرحلة والحركة تنفيان المكان، ولايكون النفي إلغاء للمكان، ومسحاً له، وإنما النفي هو في سلب المكان خصوصية الثبوت؛ لأن المكان عاجزعن الفعل التدميري دون شيء من الثبوت وتتباطأ فيه حركة الزمن، وتتكرر فيه دوراته بانتظام روتيني ممل، لذلك كانت الرحلة عند العربي القديم عنوان الانعتاق والتحرر."[٤]

فقد اتّحد في الطلل الزمان، والمكان، المكان الذي فقد أصحابه، وبقي خاوياً موحشاً، والزمان الجميل الذي رحل مع الراحلين في قافلات بلا رجعة وذوى في طيّات الدّهر، فاندرس الزمان الجميل، مخزن الفتوة واللهو والشباب، زمن القوة والغلبة، ومكان الذات اللاهية، الموجودة، وبقي زمن الذكرى، وزمن الوقوف على واقع الانهدام والقمع والقحل.

خاتمة

خرجت نصوص المثقب العبدي الشعرية عبارات وصوراً أظهرت موقفه الفكري من الحياة والكون. فظهرت متعددة السياقات، متناوبة الصور، متصارعة الأفكار، مبرزة الأضداد، مغلبةً طرفاً على آخر تغليباً يكشف عن وعي الشاعر جوهر الصراع في الحياة، فجاءت مجمل الأنساق الشعرية مختصرة في ثنائية واحدة هي: صراع الوجود والعدم، وما يستتبعهما من ثنائيات ك:الحياة/الموت، البياض/السّواد، الحركة/السّكون، القدرة/العجز، تظهر نفوذ القوي واختراقه صفحة الضّعيف، وصراع

---

[١] عبد القادر فيدوح، **الا تجاه النفسي في نقد الشعر العربي**، ٢٦٦.

[٢] يوسف اليوسف، **مقالا ت في الشعر الجاهلي**، ١١٩.

[٣] غاستونباشلار، **جماليات المكان**، ٣٧.

[٤] - حبيبمونسي، **فلسفة المكان في الشعر العربي**، ١٧.

الذات الباحثة عن وجودها. فالتضاد يُحدِث تحولا عميقاً في بنية النص، إذ يشحنه بالحركة التي تستوعب في صلبها مفارقات الحياة، وكل مافي التضاد يوحي بحركة الجدل التي تعمل بالواقع. فكانت الدلالة النسقية وما تتضمنه من قيم جمالية أقنعة تختبئ من تحتها الأنساق وتتوسل بها؛ إذ تتفجّر الدلالات الضمنية و الدلالات الصريحة مؤكدة أن جوهر التضاد قائم في أساسه على فكرة الصراع بين متضادين تمليهما نفسية الشاعر و عالمه الداخلي وثقافته، فهو يعمد إلى التغيير ومحو عالم الآخر الخارجي لبناء عالمه الذاتي.

ونتيجة التناقض الداخلي بين معظم الأنساق، و التنافر والاختلاف اللذين يشيران إلى عمق القلق والحيرة والمعاناة النفسية الناجمة عن عدم الانسجام مع واقع النسق النقيض، قد يبرز عالم آخر أحادي الرؤية والنسق، يقع بين نسقين، يحاول ردم الفجوة بينهما، هو جسر عبور يصلبين الغياب والحضور، وبين الرحيل والبقاء، وبين القوة والضعف، وبين الخصب واليباب، وهو العالَم الذي أبرز تخطي الشاعر، وسعيه إلى إبقاء ما يريد في حركة دائبة إلى تحقيق الحياة بإنقاذ الحياة من حيز الرحيل إلى حيز الاستقرار، والشعور بالسكينة.

وكان حرص الشاعر على الاستمرار النسق المضمر، الساعي إلى الظهور، والذي لا يمكن أن يستسلم بسهولة لأيّة واقعة سلبية تؤثّر في وجوده، أو تبدّد علاقته بالأشياء؛ إذ نرى الشّاعر يستحضر الإرادة في محاولة الانبعاث من الموت، والتحوّل من عالم الفناء إلى عالم الحياة؛ لأنّه يرى مكونات الوجود في ثنائيات.

إن نص المثقب العبدي الشعرينص قادر على بلوغ المعنى والدلالة فهو يتنامى من خلال مايحمله من تناقضات؛ فكان التضاد من أكثر الأساليب قدرة على إقامة علاقات جدلية بين النص من جهة والقارئ من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم

١-ابن منظور، جمال الدين، **لسان العرب**، تنسيق وتعليق: علي شيري، الطبعة الثانية، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان:١٩٩٢م.

٢-أبو ديب، كمال، **الرؤى المقنعة، نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب:,١٩٦٩

٣- باشلار، غاستون، **جماليات المكان**، ترجمة:غالب هلسا، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، العراق:١٩٨٠

٤ -بوجمعة بو بعيو، **جدلية القيم في الشعر الجاهلي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق:,٢٠٠١

٥-الديوب، د.سمر، **الثنائيات الضدية**، "دراسات في الشعر العربي القديم"، مطبعة حمص، سوريا:,٢٠٠٩

٧-رومية، د.وهب، **شعرنا القديم والنقد الجديد**، سلسلة عالم المعرفة، العدد٢٠٧، الكويت، آذار، ١٩٩٦,

٨-عبد الجليل يوسف، حسني، **النفس في الشعر الجاهلي**، دار الآداب النموذجية، القاهرة:,١٩٨٩

٩-عباس، د.حسين، **خصائص الحروف العربية ومعانيها**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٩٨,

١٠- **العبدي، المثقب**، ديوان شعره، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات العربية، جامعة الدول العربية: ١٩٧١م.

١١-عليمات، يوسف، **جماليات التحليل الثقافي**، الشعر الجاهلي نموذجاً، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت:٢٠٠٤.

١٢-عوض، ريتا، **بنية القصيدة الجاهلية في الصورة الشعرية لدى امرئ القيس**، دار الآداب، لبنان:١٩٩٢.

١٣-الغذامي، عبد الله، **النقد الثقافي، قراءة في الأنساق الثقافية العربية**، الطبعة الثانية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، لبنان:٢٠٠١م.

١٤ــــــــــــــ فيدوح، عبد القادر فيدوح، **الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق:,١٩٩٢

١٥- محمد أحمد، د.عدنان، **قراءة في قصيدة المثقب العبدي النونية**، مجلة جامعة تشرين للدراسات والبحوث العلمية، اللاذقية، المجلد(٢٠)، العدد(١٣)، ١٩٩٨.

١٦- مسكين، د.حسن، **الخطاب الشعري الجاهلي**، رؤية جديدة، الطبعة الأولى، المركز الثقافي العربي، الدارالبيضاء، المغرب:٢٠٠٥.

١٧-مونسي، حبيب، **فلسفة المكان في الشعر العربي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق:٢٠٠١م.

١٨-ميويك، د.سي، **المفارقة**، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، دار الرشيد للنشر، بغداد:١٩٨٢م.

١٩-ناصف، د. مصطفى، **قراءة ثانية لشعرنا القديم**، الطبعة الثانية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، :١٩٨١

٢٠- اليوسف، يوسف، **بحوث في المعلقات**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق:١٩٧٠

٢١-اليوسف، يوسف، **مقالات في الشعر الجاهلي**، الطبعة الثانية، دار الحقائق، الجزائر:١٩٨٠.

خوانشی در شکل های درگیری وجودی در متون شعری مثقب عبدی

دکتر غیثاء قادره*

چکیده

این پژوهش به دنبال تأکید نیاز شعر قدیم که تعدد خوانش ها و تأویل ها را پذیرفته به خوانشی جدید است که متن را به عنوان یک منظومه زبانی که سطحی از تحلیل و بازترکیب را پذیرفته و در دلالت های خود بر شکل های متعدد آشکار یا پنهان در لابلای متن شعری تکیه دارد که از تفاوت تصویر و معنا در ساخت متن دیده می شود و به متن طبیعت جدلی اش را می دهد همانور که فرهنگ شاعر جاهلی – مثقب عبدی – که در اعماق گفتمان و داشته های پنهان او وجود دارد را نشان می دهد.

این پژوهش به دنبال خوانش شکل های درگیری وجودی در شعر مثقب عبدی در سایه پژوهش متنی است که شکل های آشکار و پنهان وسیله ای برای بیان ذات درگیر شاعر چه از نظر وجودی و چه حکم های زمانه است.

این پژوهش بعد از بررسی متون ذکر شده در آن این عقیده را دارد که پژوهشگر شعر قدیم نمی تواند در هیچ یکی از موضوعات فنی آن به دور از شکل های وجود و عدم آن را بررسی کند.

کلمات کلیدی: شکل ها، درگیری، وجودی.

* دانشیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه تشرین لاذقیه سوریه.

تاریخ دریافت: ۱۳۹۳/۰۷/۲۷هـش= ۲۰۱۴/۱۰/۱۹م تاریخ پذیرش: ۱۳۹۴/۰۱/۲۹ هـش= ۲۰۱۵/۰۴/۱۸م

A Reading of the Forms of Existential Conflicts in the Poetry of al-Muthaqqab al-Abdi

Ghaiythaa Khadraa*

Abstract

This study attempts to emphasize the need for a new reading of the classical poetry, which is characterized by the multitude of interpretations and interpretations-- a new reading which presents the text as a linguistic system open to different levels of analysis and re-synthesis. Having a structural inclination toward poetic images and meanings, this study relies on numerous forms both visible and invisible within the body of the poetic text, that are infered from the differences between the form and the content, a fact which grants the text a controversial nature. In addition, this study sheds light on the cultural milieu of the pagan poet, al-Muthaqqab al-Abdi, as expressed in the deep recesses of his poems and underlies his whole work. This research aims at studying the forms of the existential conflicts in the poetry of al-Muthaqqab al-Abdi in the light of a textual study that depends basically on the visible and invisible forms that reflects the poet's existential internal conflicts. Following a scrutiny of some selected poems, this study reveals that researchers of traditional poetry cannot investigate any of its numerous artistic aspects unless they refer to the forms dealing with existence or non-existence.

Keywords: Forms; Existential; Conflict

*- Associate Professor in Arabic Language and Literature, Tishreen University, Syria.